﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ تَسۡمِيَةَ ٱلۡأُنثَىٰ ٢٧ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا ٢٨﴾ [النجم: 27 - 28]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَينِ لِما قبلَهُما:

إبطالُ ادِّعاءِ المشركين تعظيمَهم الملائكةَ، وهم ينسبون الأنوثة لها

لمّا بُيِّن للمشركين أنَّ الأصنام جماداتٌ لا تشفع، وأنَّ أعظمَ أجناسِ الخَلقِ - وهم الملائكة - لا شَفاعةَ لهم إلّا بإذن الله؛ تحجَّجوا بأنَّهم لا يعبدون الأصنامَ؛ لأنَّها جماداتٌ، وإنَّما يعبدون الملائِكةَ بعبادة الأصنام؛ فإنَّها على صوَرِها، وأنَّهم ينصبونها بين أيديهم؛ ليُذكِّرَ الشّاهِدُ الغائِبَ، فيعظِّموا المَلَكَ، فردَّ الله عليهم زعمهم بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ تَسۡمِيَةَ ٱلۡأُنثَىٰ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿لَيُسَمُّونَ﴾ - ﴿تَسۡمِيَةَ﴾: أصلُ الاسم من (سمو) وهو من العُلوِّ؛ لأنَّهُ تَنويهٌ ودَلالَةٌ عَلى المَعنَى[2]، وهوَ الَّذي بهِ رُفِعَ ذِكر المُسَمّى، فيُعْرَفُ بهِ، والاسْمُ ما يُعْرَفُ بهِ ذاتُ الشَّيءِ[3]، وقيل: الاسم ما أنبأ عَن المُسَمّى[4]، والاسمُ (مثل جذع وقفل)، فكأنَّه كلمةٌ تعبِّر عن صفةٍ جسميَّةٍ لظاهر الشَّيء، أو أعلاه تُتَّخَذُ علامةً له[5]، وقيل الاسم: ما دلَّ على معنى في نفسه[6]، ومعنى ﴿لَيُسَمُّونَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ تَسۡمِيَةَ ٱلۡأُنثَىٰ﴾: التَّسميَةُ مطلَقةٌ هُنا عَلى التَّوصيفِ؛ لأنَّ الاسمَ قَد يُطلَقُ على اللَّفْظِ

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 257.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سمو).
(3) الراغب، المفردات: (سما).
(4) الكفوي، الكليات، ص: 83.
(5) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (سمو).
(6) الجرجاني، التعريفات، ص: 24.

الدّالِّ على المَعْنَى، وقَد يُطْلَقُ على المَدْلولِ المُسَمَّى ذاتًا كانَ أو مَعْنًى، أي: يَزْعُمونَ المَلائِكَةَ إناثًا، وذَلِكَ تَوصيفٌ[1].

2) ﴿ٱلْأُنثَىٰ﴾: الأُنْثَى: خِلافُ الذَّكَرِ، وسُمّيت أنثى للينها، فالأنيثُ: اللِّين السَّهل، والمعنى المحوريُّ: لِيْنٌ أثناء الشَّيء وعدم غلظها وصلادتها، كالأرض السَّهلة المتسيِّبة التُّربة اللَّيِّنَتُها، ومنه: حديد أنيث: غير ذكير، فالأنيث من الحديد: هو الَّذي يُسمَّى الحديد المطاوع، والذَّكير منه: هو الصُّلب[2]، والمراد هنا بالأنثى خلافُ الذَّكر.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

إنَّ الَّذين لا يصدِّقون بالبعث في الدّار الآخرة - وذلك يوم القيامة - لَيُسَمّون ملائكةَ اللّه تسميةَ الإناث، وذلك أنَّهم كانوا يقولون: هم بناتُ اللّه، وما لهم بذلك حقيقةُ علم، ما يتَّبعون في ذلك إلّا الوَهمَ الكاذِبَ، فيقولون ذلك ظنًّا بغيرِ علم، وإنَّ الظَّنَّ لا ينفعُ من الحقِّ شيئًا، فيقومُ مقامه[3].

توبيخُ المشركين لتسميتهم الملائكة بنات الله

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ الاستئناف في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾:

فصلَ البيانُ القرآنيُّ قولَه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ﴾ عمّا قبله؛ لكونه جاءَ اعتراضًا واستطرادًا؛ لمناسبة ذِكرِ الملائكة، وتبَعًا لِما ذُكِرَ آنفًا من جَعْلِ المشركين (اللّاتَ والعُزى ومَناةَ) بَناتٍ للّهِ بقوله: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾﴾ [النجم: 19]، إلى قوله: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [النجم: 21]، أي: تُنْبَى إليهم عِنانُ الرَّدِّ والإبطالِ؛ لزعْمِهم أنَّ الملائكةَ بَناتُ اللّهِ، جمعًا بين ردٍّ لباطلَين مُتشابهين[4].

تقوية الحجَّة وإبطالُ باطلٍ آخر شبيهٌ بالَّذي قبله

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 115.
(2) ابن منظور، لسان العرب، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (أنث).
(3) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 22/ 530.
(4) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 114.

سرُّ التَّوكيد بأكثر من مؤكِّد:

تنبيهٌ على غرابةِ فِـرْيـةِ المشركين وفظاعتِها

أكَّد البيانُ القرآنيُّ خبرَ تسميةِ المشركين ملائكة اللّه بأسماء الإناث بقولهم: هي بناتُ اللّه، بالتَّوكيدات الثَّلاثة ﴿إِنَّ﴾ و(اسميَّة الجملة) و(اللّام) في ﴿لَيُسَمُّونَ﴾؛ لينبِّه على أنَّه قولٌ بالغٌ في العَجبِ والشَّناعةِ والفظاعة، فلا يكادُ يُصدَّقُ أنَّ عاقلًا بالآخرة، مقرًّا بها يقول هذا القول، ويجترئ عليه[1].

الغرض من التَّعبير بالموصول ﴿ٱلَّذِينَ﴾:

إيـذانٌ بتوبيخ منكري الآخـرة وتـحـقـيرِ عَقائدِهم

عبَّر البيانُ الحكيم في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾ بالاسم الموصول؛ لِما تُؤذِنُ به الصِّلةُ مِن التَّوبيخِ لهم، والتَّحقيرِ لعَقائدِهم؛ إذ كَفَروا بالآخرةِ، وقد تواتَرَ إثباتُها على ألْسِنةِ الرُّسلِ، وعندَ أهْلِ الأديانِ المُجاورينَ لهم مِن اليهودِ والنَّصارَى والصّابئةِ، فالمَوصوليَّةُ هنا مُستعمَلةٌ في التَّحقيرِ والتَّهكُّمِ، وهو تَهكُّمُ المُحِقِّ بالمُبطِلِ؛ لأنَّ مَضمونَ الصِّلةِ ثابتٌ لهم[2].

دلالةُ النَّفي بـ﴿لَا﴾، ودخوله على المضارع المسند إلى ضمير الجماعة ﴿يُؤۡمِنُونَ﴾:

الإيـمـانُ بـالآخـرة منتفٍ عـن المشـركـين باستمرار

﴿لَا﴾ أداةُ نفيٍ تدخلُ على الفعل المضارع، وتكمنُ بلاغتُها في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾ أنَّها تفيدُ تجدُّد نفيَ عدم استمرارِ التَّصديق بوجود الآخرة والحساب والعقابِ وتجرُّدِه عنهم في الزَّمن الحاضر، وما يتَّصلُ به، بما يوحي أنَّ عدمَ إيمانهم بالآخرة هو السَّببُ الجذريُّ في فساد عقائدهم، ولو عَبَّرَ بـ(لم) دون (لا)؛ لأوهمَ إرادته من لم يكن مؤمنًا، ثمَّ آمن، وهو حالُ كثيرٍ ممَّن آمنَ بعد كفر، لكن التَّعبير بـ﴿لَا﴾ دلَّ على مَن استمرَّ على ذلك، وخُتِمَ له بالكفر.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 63، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 160.
(2) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 114 - 115.

معنى الباء ودلالتها في قوله: ﴿بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾:

الباءُ في قوله تعالى: ﴿لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾ للإلصاق، أي: ليس لدى المشركين إيمانٌ وتصديقٌ وإقرارٌ ملتصقٌ بالآخرة، وبكلِّ ما فيها من حسابٍ وعقاب، والشَّكُّ بأيِّ شيءٍ منها كفرٌ، ولذلك تجرَّؤوا على فريتهم بتسميتهم الملائكةَ تسميةَ الأنثى، وقولهم: إنَّهم بناتُ الله.

في الإلصاق مبالغةٌ في نفي الإيمانِ بالآخرة عن المشركين

معنى اللّام ودلالتها في: ﴿بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾ وإيثارها على غيرها من التَّسميات:

اللّام في: ﴿بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾ عهديَّة، معهودها ذكريٌّ سبقَ ذكره في الآيات السّابقة، فالآخرةُ معهودةٌ معروفةٌ، وهي يومُ القيامة والسّاعة، وقد آثرَ البيانُ الحكيم التَّعبيرَ بلفظ الآخرة دون غيرها من التَّسميات؛ مراعاةً للسّياق، فقد سبق ذكرها في الآيات السّابقة كقوله: ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡأٓخِرَةُ وَٱلۡأُولَىٰ ٢٥﴾ [النجم: 25]؛ لكون لفظ الآخرة أعمَّ من لفظِ الساعة والقيامة، فالآخرة نقيضُ المتقدِّمة، فهي النَّشأةُ الآخرة بعد الموت بكلِّ ما فيها؛ من بعثٍ ونشورٍ وحسابٍ وجنَّةٍ ونارٍ وغير ذلك.

عدمُ الإيمانِ بأيِّ شيءٍ من أمور الآخرة كفرٌ

معنى اللام ودلالتها في قوله: ﴿لَيُسَمُّونَ﴾:

لام ﴿لَيُسَمُّونَ﴾ هي لامُ المزحلقة، وتفيدُ التَّوكيد[1]، وقد أفادتْ تقويةَ معنى الفعل، وتوكيدَ وقوعه بشكل حتميٍّ، أي: أكَّدت تسميةَ المشركين لكلِّ واحد من الملائكة تسميةَ الأنثى[2].

تسميةُ المشركين الملائكة تسميةَ الأنثى أمرٌ مؤكَّدٌ لا شكَّ فيه

معنى اللام ودلالتها في ﴿ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ﴾:

لفظ ﴿ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ﴾ في قوله تعالى: ﴿لَيُسَمُّونَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ تَسۡمِيَةَ ٱلۡأُنثَىٰ﴾، في معنى استغراق كلِّ فرد من أفرادِ الملائكة، أي: ليسمُّون كلَّ واحدٍ منهم، ويصفونه بصفةِ الأنوثة[3]، وهذا يشيرُ إلى شدَّةِ جرأتهم على الباطل.

وصفُ المشركين كلَّ واحدٍ من الملائكة بالأنوثة دليلٌ على جرأتهم

(1) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 9/ 357.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 63.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 63، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 160، وسيد طنطاوي، التفسير الوسيط: 14/ 73.

دلالة التَّعبير بالمفعول المطلق ﴿تَسۡمِيَةَ﴾:

في التَّوكيدِ دلالةٌ على انحرافٍ عقديٍّ خطير

لم يقلْ سبحانه: (لَيُسَمّون الملائكة بالأنثى)، وإنَّما جاء التَّعبيرُ بالمفعول المطلق ﴿تَسۡمِيَةَ﴾؛ لتأكيدِ الفعل (يسمّون)، أي: التَّسميةُ ليست فقط لفظًا، بل هي اعتقادٌ فاسدٌ كاملٌ.

الغرضُ من التَّعبير بالكناية:

تسميةُ الأنثى كنايةٌ قرآنيَّة تكشفُ تزييف المشركين لعالمِ الملائكة

التَّسميةُ في قوله تعالى: ﴿لَيُسَمُّونَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ تَسۡمِيَةَ ٱلۡأُنثَىٰ﴾ مطلقةٌ هنا على التَّوصيف؛ لأنَّ الاسمَ قد يُطلقُ على اللَّفظ الدالِّ على المعنى، وقد يُطلقُ على المدلول المسمّى - ذاتًا كان أو معنًى - والتَّسميةُ هنا كنايةٌ عن تبنّي وصفٍ باطلٍ وغير لائقٍ، والمعنى: أنَّهم يزعمون الملائكة إناثًا، وذلك توصيف، قال تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًا﴾ [الزخرف: 19][1].

معنى اللّام ودلالتها في: ﴿ٱلۡأُنثَىٰ﴾:

من فسادِ معتقدات المشركين أن ينسبوا للهِ ما يكرهون

التَّعريفُ في ﴿ٱلۡأُنثَىٰ﴾ تَعريفُ الجِنسِ الَّذي هو في معْنى المُتعدِّدِ، والأنثى: البنت والبنات، واستعمال لفظ الأنثى أليقُ بهذا الموضع من التَّعبير بصيغة الجمع (الإناث)؛ مراعاةً لِما جاء على وفقهِ من فواصل الآيات كلفظ: (الأولى) و(يرضى) [2]، ولأنَّه لو عبَّر بالإناث؛ لاحتملَ البنات أو الأعلام المعتادة للإناث، كعائشة وحفصة، ولكنَّه أرادَ جنس الإناث[3]، وتجنَّب اللَّبس والتَّخصيص، وفي إرادة الجنس إشارةٌ إلى ما يحمله هذا الجنس من ضعفٍ بشريٍّ، وما حمَّلوه من صفاتِ النَّقصِ والازدراء، وهذا يشيرُ إلى فسادِ معتقدهم بأنَّهم ينسبون للّه ما يكرهون.

معنى الواو ودلالتها:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍۚ﴾ حاليَّةٌ، والجملة

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 115.
(2) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 115.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 257.

حالٌ مِن ضَميرِ ﴿لَيُسَمُّونَ﴾، والتَّقدير: يُثبِتونَ للملائكةِ صِفاتِ الإناثِ في حالِ انتِفاءِ عِلْمٍ منهم بذلك، وإنَّما هو تَخيُّلٌ وتَوهُّمٌ[1]، أو التَّقدير: والحالُ أنَّهم ما لهم بما سمّوهم به من علم[2]، سواءٌ في تكوين الملائكة أو صفتهم، وإنَّما يتَّبعون الظَّنَّ الباطلَ في أقوالهم وأحكامهم[3]، وبيانُ حالِ هؤلاء المفترين القائمِ على تَخيُّلٍ وتَوهُّمٍ أو على جهلٍ يُظهر بطلانَ معتقدهم وفسادَه.

بيانُ حالِ المفترين القائمِ على التَّوهُّم والجهل يُظهرُ فسادَ معتقدهم

دلالة النَّفي بـ(ما) في ﴿وَمَا لَهُم﴾:

(ما) في قوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍۗ﴾ نافيةٌ، نفت أنْ يكون لهم علمٌ فيما أثبتوه للملائكة من الأنوثة، وأنَّها بناتُ الله، فإنَّهم لم يعرفوهم، ولا شاهدوهم، ولا أخبرهم به مخبرٌ مقبولُ الخبر، وهذا يُفهم منه أنَّهم قالوا ذلك جهلًا وضلالةً وجرأةً، وكذبًا وزورًا وافتراءً وكفرًا شنيعًا[4].

نفيُ العلم عن المشركين فيما ادَّعوه يُثبتُ كذبهم وافتراءهم

وآثر النَّظم الكريم استعمال (ما) دون غيرها من أدواتِ النَّفي؛ لقوَّةِ النَّفي بها؛ إذ إنَّها تُستخدمُ لنفي كلٍّ من الفعل الماضي والمضارع على حدٍّ سواء، وكثيرًا ما يقترن منفيُّها بـ(من) الاستغراقيَّة المؤكِّدة، ومِن ثَمَّ كان استعمالها يدلُّ على بلوغِ الغايةِ في نفي العلم عنهم وإثباتِ جهلهم وكذبهم.

الغرضُ من تقديم شبه الجملة:

﴿لَهُم﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍۗ﴾ خبرٌ مقدَّم، و﴿عِلْمٍۗ﴾ مبتدأ مؤخَّر[5]، وفي تقديم شبه الجملة بيانُ اختصاصهم بعدمِ العلم، ولفتُ الانتباه إلى حالهم الَّذي يدلُّ على جهلهم وكذبهم.

في التَّقديمِ بيانٌ لاختصاصهم بعدم العلم

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 115.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 63، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 160.
(3) سيد طنطاوي، التفسير الوسيط: 14/ 73.
(4) الزحيلي، التفسير المنير: 27/ 115.
(5) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 9/ 357.

معنى ﴿مِنۡ﴾ ودلالتها:

الزّيادةُ في تعميمِ النَّفي وتأكيده مبالغة في إبطالِ معتقدِ المشركين

﴿مِنۡ﴾ في قولِه تعالى: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍۖ﴾ للتَّوكيد، بما يفيدُ الإغراق في نفي وجودِ أيِّ علمٍ عند المشركين، فيما افتروه على الملائكة وعلى اللّه سبحانه[1]، أي: والزّيادةُ في تعميمِ النَّفي وتأكيده يدلُّ على المبالغةِ في إبطال معتقدهم.

الغرضُ من تنكير ﴿عِلۡمٍۖ﴾:

مبالغةٌ في نفي العلم عن المشركين فيما يدَّعونه

تنكيرُ لفظِ ﴿عِلۡمٍۖ﴾، في قوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍۖ﴾ يفيدُ العموم؛ لكونه جاء في سياق النَّفي، أي: نفى اللّهُ عنهم أيَّ علمٍ، ولو كان قليلًا، وفي هذا مبالغةٌ في بيانِ بطلان ما يعتقدون.

بلاغةُ التَّعبير بالكناية:

نفيُ العلم بالشَّيء نفيٌ له وللدَّليل عليه

نفيُ البيان القرآنيِّ العلمَ عن المشركين - فيما افتروه من إثباتِ الأنوثة للملائكة، في قوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍۖ﴾ - كنايةٌ عن نفي الدَّليل عليه؛ إذ العلمُ لا يكونُ إلّا عن دَليلٍ لهم[2]، وفائدةُ الكناية المبالغةُ في إثباتِ ضلالهم؛ إذ نفيُ العلم عن الشَّيء، هو نفيٌ له وللدَّليلِ عليه.

موقع جملة: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ﴾، ودلالته:

التَّأكيد على نفي أيِّ دليل للمشركين، على زعمهم أنَّ الملائكة إناث

يُثيرُ نفيُ البيانِ القرآنيِّ - أن يكون للمشركين أيُّ دليلٍ بإثباتهم الأنوثة للملائكة - تشوُّفَ السّامعِ إلى الحامِلِ لهم على ذلك، فقال: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ﴾[3]، وهذا استئنافٌ بيانيٌّ، أي: بينَ الجُملتَين شِبهُ كمالِ اتِّصال، ويمكن أن تكون الجملة بَيانًا لجملةِ: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍۖ﴾، وعَوْدًا إلى جملةِ: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُۖ﴾، وتأكيدًا لمَضمونِها، وتَوطئةً لتَفريعِ ﴿فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا﴾[4]، فيكون بين الجُملتَين كمالُ اتِّصال.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 63.
(2) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 115.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 63.
(4) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 116.

بلاغةُ التَّعبير بأسلوب القصر بأقوى طُرُقه: النَّفي والاستثناء ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾:

عبَّر النَّظم الكريم بالقصرِ بطريق النَّفي والاستثناء، أي: ما يتَّبعون علمًا، وإنَّما يتَّبعون وهمًا وتخييلًا؛ لتأكيد نفي زعمهم، وفي استعمالِ صيغة المضارعة ﴿يَتَّبِعُونَ﴾؛ لإفادة بيانِ جهلِ المشركينَ وإصرارهم على الاستمرار في اتِّباع التَّوهُّم والتَّخمين بدلَ الدَّليلِ والبرهان، فاتِّباعهم للظَّنِّ ليس أمرًا عارضًا، بل هو عادةٌ متكرِّرة ومستمرَّة في حياتهم، والتَّعبير بالفعل مجموعًا؛ للدَّلالة على أنَّ اتِّباع الظَّنِّ هو شأنُ عامَّة الكفّار، والتَّقدير: إن يتَّبعُ الكافرون إلّا الظَّنَّ.

تمكين المعنى في إثبات انتفاء أيِّ دليل على زعمهم

بلاغةُ التَّعبير بالاتباع، ودلالته مادَّة وصيغة:

أصلُ الاتِّباع يدلُّ على التُّلوِّ والقَفْو[1]، وقد استعارَه البيانُ الحكيم في قوله تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾؛ للأخذِ بالشَّيء واعتقادِ مقتضاه، أي: ما يَأخُذونَ في ذَلِكَ إلّا بدَليلِ الظَّنِّ المُخْطِئِ[2]، وهي استعارةٌ مكنيَّةٌ؛ إذ ذكرَ المشبَّه به، وهو (الظَّنُّ) مع إسنادِ صفةٍ إليه، لا تليقُ إلا بالمشبَّه، وهو (الإنسان)؛ ممّا يعطي صورةً حيَّةً للشَّيء المجرَّد، أي: جُعلَ الظَّنُّ كأنَّه إمامٌ يتَّبعون أثره، ويمشون وراءه مع أنَّه في الحقيقة مجرَّدُ وهمٍ باطل، كما أنَّ لفظَ الاتِّباع يوحي بأنَّهم مسلوبو الإرادةِ، تابعونَ لشيءٍ وهميّ، كالقطيع الَّذي يتَّبع دون وعي، ولو قال: (يظنّون)؛ لما أعطى هذا المعنى، لكنَّ الصّورة الاستعاريَّة (الاتِّباع)، أظهرتهم كأتباعِ أعمَى ممّا زادَ في تقريعهم.

إظهارُ المشركين كأتباعِ أعمَى يزيدُ في تقريعهم

دلالةُ التَّعبير بـ﴿إِلَّا﴾:

الاستثناءُ بـ﴿إِلَّا﴾ في قوله تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ استثناءٌ مُفرَّغٌ بأسلوبِ النَّفي والاستثناء يفيدُ القصر؛ إذ نفى اللّهُ عن

مبالغةٌ في الذَّمِّ والتَّقبيح لعقولِ المشركين

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (تبع).

(2) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 116.

المشركين - فيما ادَّعوه من نسبة الأنوثة للملائكة - أيَّ علمٍ لهم في حالٍ من الأحوال، ثم أثبتَ لهم مجرَّدَ اتِّباع الظَّنِّ[1]، والقصرُ في التَّفريغ أعمُّ وأشمل، أي: لا يملكون أيَّ علمٍ سوى هذا الظَّنِّ الضَّعيف، وهو غايةٌ في الذَّمِّ والتَّقبيحِ لعقولهم.

معنى اللّام ودلالتها في: ﴿ٱلظَّنَّ﴾:

ظـنٌّ مـعـروفٌ وباطلٌ في أصله وصفاته، وهو بـذلـك أحـرى بالنَّأيِ عنه

إنَّما جاء الظَّنُّ معرَّفًا ﴿ٱلظَّنَّ﴾ بلام الجنس؛ لبيانِ أنَّ الظَّنَّ الَّذي يتَّبعونه معروفٌ، لا يخفى عن المؤمنين، وهو الظَّنُّ السَّيّئ، وهو تقليدٌ لما كان عليه آباؤهم، ممَّن تقطَّعتْ بهم السُّبلُ عن سبيلِ اللّه، فهو باطلٌ في أصله وصفاته، وهذا أحرى بالعقلاء أن ينأوا بأنفسهم عنه.

معنى الواو ودلالتها في قوله: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي﴾:

بيانُ حال الظَّنِّ إقـامـةٌ للحجَّة على الكافرين

الواو في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي﴾ حاليَّة، أي: والحالُ أنَّ ظنَّهم الفاسدَ لا يغني عنهم من الحقِّ شيئًا[2]، فإنَّ الظَّنَّ لا يؤدّي أبدًا إلى الجزمِ بالعلم بالشَّيء على ما هو عليه في نفسِ الأمر، فهو ممنوعٌ في أصول الدّين[3]، وفي بيانِ حال الظَّنِّ إقامةٌ للحجَّة عليهم، وإظهارٌ لإصرارهم على الضَّلال.

دلالة التَّوكيد:

تأكيدُ إبطال ما كـان المشركون قـاطـعـين بـه من نفعِ ظنِّهم الفاسد

أكَّد البيانُ القرآنيُّ كون الظَّنِّ لا اعتدادَ به، بـ(إنَّ) واسميَّة الجملة والمفعول المطلق ﴿شَيۡـًٔا﴾ في قوله: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـًٔا﴾؛ لأنَّ المشركين كانوا كالقاطعين بأنَّ ذلك الظَّنَّ الفاسدَ ينفعهم[4]، فأكَّد اللّهُ أنَّ اعتقادَ المشركين الفاسدَ لا يغني شيئًا من

(1) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 63.
(2) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 9/ 358.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 64.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 63.

الإغناء عن أحدٍ من الخلق، فإنَّه لا يؤدّي أبدًا إلى الجزم بالعلم بالشَّيء على ما هو عليه في الأمر نفسه[1].

الغرضُ من الإظهار في: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ﴾:

في قوله: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـًٔا﴾ أظهرَ البيانُ الحكيم لفظَ الظَّنِّ في موضعِ الإضمار؛ إذ سبقَ ذكره، فلم يقل: (إنَّه لا يغني)؛ لإفادة إطلاقِ هذا الحكم في هذا الأمر المذكور وغيره[2]، أي: لتَكونَ الجُملةُ مُستقِلَّةً بنفْسِها، فتَسيرَ مَسيرَ الأمثالِ[3]، وللتَّأكيدِ على أنَّ أمرَ الدّين إنَّما ينبني على العلم الَّذي به يتَّضحُ الحقُّ من الباطل، وأنَّ الظَّنَّ لا يقومُ مقامَ العلم، ولا يغني عنه في أيِّ شيءٍ من الأشياء.

كـــونُ الـظَّـنِّ الباطلِ لا يقومُ أبدًا مقامَ الحقِّ حكمٌ مطلقٌ

الغرضُ من تقديم المسند إليه:

جاء البيان القرآني بأسلوب تقديم المسند إليه على خبره الفعليِّ ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي﴾؛ لإفادة تأكيد عدم غناء هذا الظَّنِّ، وإنَّما حصل التَّأكيد من إسناد الفعل المنفيِّ للفاعل مرَّتين: مرَّة في كونه خبرًا له، ومرَّة في كون الفعل ﴿لَا يُغۡنِي﴾، مسندًا إلى الضَّمير العائد على اسم (إنَّ)، كأنَّه قيل: الظَّنُّ لا يغني، الظَّنُّ لا يغني، والتَّعبيرُ بالمضارعة للدَّلالة على أنَّ هذا الحكم حُكمٌ مطلقٌ مستمر لا يتغيَّر، ولا يتبدَّل، فالحقُّ وإدراكه هو العلم.

الحكمُ بأنَّ الظَّنَّ لا يفيدُ إدراكَ حقائقِ الأشياء حُكمٌ مستمرٌّ لا يتغيَّر

معنى حرف الجر ﴿مِنَ﴾ ودلالته:

حرْفُ ﴿مِنَ﴾ في قوله تعالى: ﴿لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـًٔا﴾ بَيانٌ لِما أُبهم في لفظ ﴿شَيۡـًٔا﴾، وهو مُقدَّمٌ على المُبيَّن، والتَّقدير: لا يغني شيئًا من الحقِّ[4]، أو هي للبدليَّة بمعنى (عن)، أي: عوضًا عن الحقِّ، باعتبار الحقِّ بمعنى العلم.

بيانٌ لعدم إغناءِ الظَّنِّ عن الحقِّ شيئًا

(1) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 64.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 64.
(3) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 116.
(4) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 116.

معنى اللّام ودلالتها في: ﴿ٱلۡحَقِّ﴾:

الظَّـنُّ لا يغني مـن الـحـقِّ بجميع معانيه وصوره

اللّام في لفظ ﴿ٱلۡحَقِّ﴾ للجنس، وهو الأمرُ الثّابتُ في نفس الأمر، الَّذي هو حقيقةُ الشَّيء وذاته بحيث يكونُ الظَّنُّ بدلَه، أي: تفيدُ عمومَ الحقِّ كلِّه[1]، أو للعهد، فالحقُّ هو العلم، أي: لا يقومُ الظَّنُّ مَقامَ العلم، أو هو العذاب، أي: إنَّ ظنَّهم لا يُنْقِذُهُم من العَذابِ، أو المرادُ من الحقِّ هو الله، والمعنى أنَّ الظَّنَّ لا يفيدُ شيئًا من الله، أي: إنَّ الأوصافَ الإلهيَّة لا تُستخرجُ بالظُّنون بدليل قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾ [لقمان: 30][2].

الغرض من تنكير ﴿شَيۡـًٔا﴾:

الاعتقادُ الباطلُ لا يفيدُ أيَّ شيءٍ من الحقِّ مهما قلَّ أو كثر

نكَّرَ البيانُ القرآنيُّ لفظَ ﴿شَيۡـًٔا﴾، في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـًٔا﴾؛ لإفادةِ العموم أو التَّقليل؛ لكونها نكرةً في سياقِ النَّفي، والمعنى: "وإنَّ الظَّنَّ الباطلَ والاعتقادَ الخاطئَ لا يفيدُ في معرفةِ الحقِّ شيئًا، حتّى ولو كان هذا الشَّيءُ قليلًا؛ لأنَّ العقائدَ السَّليمة لا تُبنى على الظُّنونِ والأوهام، وإنَّما تُبنى على الحقائقِ الرّاسخة والعلوم الثابتة"[3].

الغرضُ من تقديم شبه الجملة:

الحقُّ هو الأهمُّ بالبيان فالدّينُ ينبني عليه

قدَّم البيانُ الإلهيُّ شبه الجملة ﴿مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾ على المفعول ﴿شَيۡـًٔا﴾، ولم يقل: (لا يغني شيئًا من الحقِّ)؛ اهتمامًا بالمقدَّم، وهو الحقُّ؛ لأنَّه الأهمُّ بالبيانِ؛ إذ إنَّ أمرَ الدّين إنَّما ينبني على العلم.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 64.
(2) ابن عادل، اللباب: 18/ 190.
(3) سيد طنطاوي، التفسير الوسيط: 14/ 73.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والخمسون،
سورة الطُّور من الآية 25 إلى سورة الرَّحمن الآية 30
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والخمسون، سورة الطُّور من الآية 25 إلى سورة الرَّحمن الآية 30
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 58 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-647-62-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 58 : المجلد الثامن والخمسون، سورة الطُّور من الآية 25 إلى سورة الرَّحمن الآية 30.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-647-62-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4238337 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"